اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع

Antisocial personality disorders

1/ تمهيد:

يضم مصطلح الشخصية السيكوباتية مجموعة من اضطرابات الطبع، والأنماط السلوكية التي تنم عن ميول معادية للمجتمع تتصف بالاندفاعية وعدم الاستقرار الانفعالي والمهني–الاجتماعي دون أن تندرج هذه المجموعة بوضوح في إطار بنية عصابية أو ذهانية للشخصية.

وفي الواقع، فإن هذا النمط من الشخصيات يثير دون أدنى شك أكثر المنازعات النظرية.

هذا وإن مختلف تسميات هذه المجموعة من الشخصيات – اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع (DSM)، والشخصية اللا اجتماعية (ICD)، وتسميات أخرى مثل: السيكوباتية، السوسيوباتية، اضطراب الشخصية اللا اجتماعية– يعطي، من جهة أخرى صورة حقيقية للتطور الفكري الذي طرأ في إطار الأمراض النفسية على مختلف المفاهيم المرضية العقلية التي تعاقبت منذ بداية القرن التاسع عشر، مع تعاقب المرجعيات الأخلاقية، الدينية، الفلسفية، الطبية والاجتماعية.

وينبغي التمييز بين **نظرية التنكس الفرنسية** الأصل التي تؤكد على الهشاشة البنيوية الخاصة بالشخصية المهيأة للإصابة بمختلف الأمراض العقلية. وبين **الاتجاه** الذي **تطور في انجلترا مع بريشارد** والمتبع حاليا **في التصنيفات الأنجلو سكسونية** والذي يميز بصورة خاصة الميول المعادية للمجتمع، وهاتان النزعتان تتميزان عن المفهوم الألماني للشخصيات المرضية الذي تطور بعيدا عن الأصول الدينية أو الفلسفية ودون الاستناد إلى مرضية عقلية من طبيعة أخرى.

وإن تباين مصادر مفهوم عدم التوازن أو الشخصية المعادية للمجتمع يسمح في الواقع بفهم الغموض الذي يكتنف حدوده التصنيفية.

هذا وإن التصنيف الأمريكي الحديث حاول أن يحل هذه المشكلة التصنيفية بتمييز الشخصيات المعادية للمجتمع عن الشخصيات شبه الفصامية التي يهيمن عليها عدم التكيف الاجتماعي، وعن الشخصيات الحدودية التي تهيمن فيها عدم الاستقرار.

2/ الوصف السريري للشخصية السيكوباتية

2-1 حياة الشخص السيكوباتي:

إن العنصر الأكثر تميزا، كعدم التوازن العقلي، هو في الواقع سيرة حياة هذا الشخص حيث تكون محفولة بوقائع مرضية مبكرة غالبا، تبدو من خلالها الاندفاعية، عدم الاستقرار أو عدم التكيف.

- وغالبا ما تتصف طفولة السيكوباتي بتظاهرات طبعية: حالات الغضب المتكرر، المعارضة المبكرة للأهل، العدوانية إزاء الأطفال الآخرين، وهذه الاضطرابات لا تتحسن مع مرحلة الدراسة التي تكون صعبة ومتواضعة عموما، رغم تمتع السيكوباتي بمستوى عادي من الذكاء (مشاجرات متعددة، رفض كل نظام، الهروب المتكرر، عدم الاستقرار الدائم، السرقات البسيطة).
- أما فترة المراهقة فإنها تتصف غالبا ببروز الاضطرابات السلوكية: عدم الاستقرار والذي يعيق أي اعداد مهني، هروب متكرر اندفاعي الطابع، يؤدي بسرعة متفاوتة إلى جنوح متميز بالسرقات والاعتداء على الآخرين، حياة جنسية مبكرة، عدوانية، دعارة، وتعاطي مواد سامة.
- وبعد الخدمة العسكرية المتقطعة، بسبب الهروب المتكرر، وأنماط السلوك المعارضة لأنظمة الخدمة، يظل سن الرشد مميزا لنفس الأنماط السلوكية.
- وتتمثل الحياة المهنية للسيكوباتي بتجارب وإخفاقات متعاقبة أما حياته الانفعالية والعاطفية فتكون عبارة عن سلسلة من المغامرات المجردة من العلاقات الانفعالية القابلة للاستمرار، ويظل تكيفه الاجتماعي محدودا بسبب عدم الاستقرار الدائم.

ومع ذلك يميز هذه الأنماط السلوكية بعض التطور أحيانا، وليس من المستبعد أن نلاحظ مع تقدم العمر تناقصا تدريجيا لعدم الاستقرار والاندفاعية.

- وهكذا وبصورة خاصة، بعد الثلاثين من العمر، يقل عادة تواتر الاضطرابات الجنسية، العدوانية، التشرد والاجرام.
- الشخص السيكوباتي هو شخص منعدم الضمير تماما يمكن أن يضحي بكل شيء من أجل ايذاء الآخرين حتى يمكنه أن يضحي بوالدته لأن هناك مصلحة من وراءها، حيث تخلو الرحمة من قلوب الشخصيات السيكوباتية. لذلك يغلب عليهم سلوك التطرف فتجدهم يسرقون ويخدعون ويكذبون ويقتلون، ولديهم ذكاء شديد جدا في القيام بخطط عدوانية من أجل ايذاء الآخرين.

السيكوباتي هو استاذ في الكذب وممثل بارع ويتفنن في اختلاق المبررات التي يغطي بها أفعاله، حتى أنه يبدو أمام الآخر بأنه رجل فاضل، وهو بلا ضمير ولا دين ولا أخلاف ولا عرف، يميل دائما إلى الغرائز دون الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير. دائما يميل إلى إشعال الحرائق لأن النار عنده تشكل رمزية للدمار

2.2. صفات الشخص السيكوباتي:

- الأنانية المطلقة البشعة بحيث يمكنه تفضيل نفسه على والديه.
- عديم الرحمة وقاسي القلب– الكذب– السرقة– الخيانة والغدر.
- لا يوجد ما يمنع الشخص السيكوباتي ايذاء الآخرين لتحقيق أهدافه الشريرة.
- يتقن فن التلاعب بالكلام وبمشاعر الآخرين.
- لا يوجد ما يجعل هذا الشخص يمتنع عن تحقيق مآربه فلا دين أو خلق يحكم سلوكياته.
- يعرف الشخص السيكوباتي بعدم قدرة الآخرين على تنبؤ ردّات أفعاله، فهو يجيد اخفاء ما يفكر به وردات فعله عند شعوره بالغضب.
- يتبع هذا الشخص مبدأ السلوك النرجسي في التعامل مع المجتمع.
- لا يهتم هذا الشخص كثيرا في إنجاح أي نوع من أنواع العلاقات الشخصية حتى مع الجنس الآخر.
- كثيرا ما يجيد استعمال الكلمات الجارحة في المواقف الصعبة لكي يكون في مركز القوة وإضعاف الخصم دون مراعاة لمشاعره.

3.2. سمات الشخصية السيكوباتية:

تتفاوت سمات الشخصية السيكوباتية دائما من حيث سهولة إدراكها في سياق المقابلات السريرية:

- **الاندفاعية:** وهي مصدر أغلب الاضطرابات السلوكية، والسيكوباتيون غير قادرين عموما على تأخير بلوغ رغباتهم المباشرة، وتوقع نتائج أفعالهم بناءا على خبرتهم السابقة.
- **العدوانية:** وتنفجر بشكل منتظم عند أقل معارضة أو أبسط عقبة تقفان أمام رغبات الشخص وتكتسي هذه العدوانية، أحيانا طابعا منحرفا حيث يمكن أن تترافق بمتعة في الايذاء والذي من المرجح أن يقوم به السيكوباتي عبر الآخرين.
- **عدم الانفعالية الظاهري:** وتتضح بعدم الاستقرار البالغ في العلاقات الانفعالية والاجتماعية، فالسيكوباتيون الأنانيون غير المهتمين بالآخرين، يقيمون بسهولة علاقات سطحية ومحدودة بالآخرين بحثا عن الإشباعات الذاتية المباشرة.
- **غياب القلق:** ويعتبر تقليديا عند هذه الشخصيات.

وإذا كان القلق الظاهري يدفع السيكوباتي أحيانا إلى طلب المساعدة والرعاية، فإنه سرعان ما يذوب، غالبا في سياق الإقدام على الأفعال الجنحية العدوانية أو من خلال اللجوء إلى تعاطي المواد السامة (المخدرات أو الكحول).

3/ أنواع الشخصية المضادة أو المناهضة للمجتمع:

وتنقسم إلى أربع فئات:

1.3. الاستجابة اللا اجتماعية: وأعراضها عدم النضج الانفعالي، وضعف الشعور بالمسؤولية والفرد اللا اجتماعي دائما على طرفي نقيض المجتمع.

2.3. الاستجابة ضد اجتماعية (اللا أخلاقية): يتسم الأشخاص الذين يوضعون ضمن هذه الفئة بإهمال المعايير الاجتماعية، وغالبا ما يصبحون في صراع مع القيم السائدة المقبولة كنتيجة للمعيشة في بيئة أخلاقية شاذة.

3.3. الانحرافات الجنسية: يظهر السلوك المنحرف جنسيا في أية صورة من صور الإشباع بطريقة غير طبيعية، حيث تصبح الصورة الشاذة هي الصورة المفضلة وتشمل الجنسية المثلية، السادية، والمازوشية.

4.3. إدمان الكحول والمخدرات: قد يحدث ادمان الكحول أو المخدرات كعرض لاضطراب عقلي كامن، أو قد يحدث دون وجود ذهان أو عصاب بوصفه اضطرابا في الشخصية.

ويبلغ التقدير الإجمالي لنسب انتشار اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع في عينات مجتمعية حوالي 3% لدى الذكور و1% لدى الإناث.

4/ معايير أو محكات تشخيص اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع:

وتتمثل هذه المحكات وفق DSM 5 فيما يلي:

أ/ هذه الشخصية تتسم بالفشل في بناء علاقات اجتماعية صحيحة مع الاندفاعية وغياب الشعور بالذنب مع العجز التام عن الاستفادة من الخبرة السابقة ويتسم الشخص بميل شديد للعدوان والاستهانة بحقوق الآخرين، وإتيان سلوك مضاد للقانون والأعراف في المجتمع. ويجب أن تتوفر لدى الفرد ثلاثة أو أكثر من الأعراض التالية:

1- العجز عن الامتثال للمعايير الاجتماعية المتعلقة بالسلوكيات الجائزة قانونيا (والإتيان بالسلوك الإجرامي مما يعرضه للوقوع تحت طائلة القانون).
2- الميل إلى الخداع والغش (الكذب، الاحتيال على الآخرين، الظهور بمظهر الرجل الطيب والمثالي بهدف تضليل الآخرين)
3- الاندفاع والعجز عن التخطيط للمستقبل.
4- التهيج والعدوانية التي تتحدد في تكرار الشجار أو الاعتداء البدني على الآخرين.
5- التحرر من المسؤولية كما يتمثل في فشله المتكرر في الاستمرار في عمل واحد.
6- التهوّر والاستهانة بسلامة نفسه أو الآخرين.

7- العجز عن الوفاء بالتزاماته المالية.

8- غياب الشعور بالذنب والندم (عدم الاكتراث بمشاعر الآخرين وتبرير ايذائهم).

ب/ ألا يقل عمر الشخص عن 18 سنة.

ج/ ويشترط وجود اضطرابات سلوكية لها تاريخ مرضي قبل سن الخامسة عشر.

5/ التشخيص التفريقي:

يتمثل التشخيص التفريقي لعدم التوازن العقلي قبل كل شيء بالفصام الشبابي، الذي يعتبر شكلا سريريا خاصا تستهل به بعض الفصامات ويشترك الفصاميون الشباب مع السيكوباتيين بالاندفاعية، العدوانية، صعوبات التكيف وعدم الاستقرار، وغالبا الجنوح وتميز هذه الاضطرابات بداية الفصام في سن المراهقة عموما أي أنها أكثر تأخرا من التظاهرات المبكرة لدى السيكوباتيين.

ومن جهة أخرى، فإن اللوحة السريرية للفصام لا تقتصر على تلك الاضطرابات المشتركة حيث يلاحظ بسرعة خلف الأنماط السلوكية الطبعية، الانطواء، الصمت، البرود الانفعالي، بالإضافة إلى بعض التفكك الفكري بل والأفكار الهذيانية.

- السلوك الإجرامي (الذي يتميز بالحصول على ربح واضح)
- سوء استخدام المادة (الذي يمكن أن يشمل السرقة للحصول على النقود اللازمة لشراء الأدوية).
- اضطراب الشخصية الزورية (الذي يمكن أن يتميز بسلوك غير قانوني للحصول على الانتقام).

– اضطراب الشخصية ذات المزاج الدوري أو حادثة تحت هوسية لاضطراب ثنائية القطب (الذي يتميز بتبدد وتشتت الأعراض عندما تنتهي الحادثة).

6/ الأسباب المرضية:

تظل السبية المرضية للسيكوباتية في جانب كبير منها غير معروفة، وفي الواقع فإن اضطرابات تخطيط الدماغ الكهربائي التي وصفت عند السيكوباتيين تبقى غير ثابتة وغير نوعية.

أظهرت الدراسات التي جريت على التوائم الدور المحدود الذي لعبه الوراثة وقد بدت التواترات المرتفعة للشذوذات الصبغية الجنسية عند الجانحين أكثر أهمية، وتطغى هذه الملاحظة إلى حد بعيد على الإطار السيكوباتي. فقد وجد الأشخاص الحاملون للنمط النووي XXY 47 (الذين يشكلون 1,1 % من أفراد المجتمع عموما) بنسبة 1,9 في الأقسام النفسية بالمشافي الفرنسية.

ومن بين العوامل البيئية (المقرات المنحلة سلوكيا والمعادية للمجتمع وعلى غياب سلطة الأبوين وبصورة خاصة والد السيكوباتي المندفع والذي لا يمكنه أن يكون نموذجا مستقرا يحتذى به.

وفي الوقت الحاضر، يبقى الدور المتبادل للعوامل الوراثية وعوامل التعلم كما أن الأبحاث المعاصرة تتناول المظاهر العضوية (كالشذوذات الصبغية) والوراثية بنفس الأهمية التي توليها للمظاهر الاجتماعية العائلية والسلوكية.